

# التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب و النقد



تصدر عن مختبر الأدب العام و المقارن  
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية  
جامعة باجي مختار / عنابة ( الجزائر )

جوان 2013

العدد الرابع

# التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد



مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بقضايا الأدب والنقد

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

إدارة المجلة: أ.د. عبد المجيد حنون

رئيس التحرير: د. محمد بلوهم

أمانة التحرير:

- د. نظيرة الكنز

- د. هجيرة لعور

منشورات مخبر الأدب العام و المقارن

جوان 2013

العدد الرابع

جامعة باجي مختار / عنابة (الجزائر)

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

مخبر الأدب العام والمقارن

العنوان: مخبر الأدب العام والمقارن،

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار / عنابة

ص.ب. 12 عنابة – 23000 / الجزائر

الهاتف والفاكس: (038)84.51.49 / (038)84.75.25

الموقع الإلكتروني: [LLGC.univ-annaba.org](http://LLGC.univ-annaba.org)

## أعضاء اللجنة الاستشارية

### رئيس التحرير:

د. محمد بلوهم

### أعضاء الهيئة الاستشارية:

1. أ.د. مختار نويوات (جامعة عنابة)
2. أ.د. عبد الحميد بورايو (جامعة الجزائر)
3. أ.د. الطيب بودربالة (جامعة باتنة)
4. أ.د. عبد الواحد شريف (جامعة وهران)
5. أ.د. عز الدين مخزومي (جامعة وهران)
6. أ.د. حبيب منسي (جامعة سيدي بلعباس)
7. أ.د. عيسى بريهمات (جامعة الأغواط)
8. أ.د. أحمد منور (جامعة الجزائر).

### الأعضاء:

1. أ.د. عبد المجيد حنون
2. أ.د. صالح ولعة
3. أ.د. إسماعيل بن اصفيه
4. د. عمار رجال
5. د. علي خفيف
6. د. نظيرة الكنز
7. د. نسيم عيلان
8. د. هجيرة لعور

## شروط النشر في المجلة

1. تنشر المجلة البحوث والدراسات العلمية التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، وتتسم بالعمق والجدة والأصالة.
2. ترسل الدراسات في نسختين وقرص مدمج، ويكون حجم المقال في حدود (20) صفحة مقاسها 16×24، مع كتابة الإحالات والمراجع مرقمة في آخر المقال.
3. تكتب المقالات بخط (Traditional Arabic) من عيار 16، وبرنامج (Microsoft Word)، أو نظام (RTF).
4. ينبغي أن ترفق المقالات بملخص تحدد فيه الإشكالية وأهم العناصر والأهداف المتوخاة من الدراسة.
5. تخضع المقالات للتحكيم العلمي من الهيئة العلمية.
6. تقوم هيئة التحرير بإخطار أصحاب المقالات في حالة عدم النشر لسبب من الأسباب.
7. المقالات لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
8. المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن المجلة.
9. يتحصل أصحاب المقالات على نسخة من المجلة وخمس مستلآت من المقال.
10. ترسل المواد إلى رئيس تحرير مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن، العنوان : كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة باجي مختار/ عنابة ، ص.ب 12- عنابة. 23000/الجزائر.

الهاتف والفاكس: (038)84.51.49 / (038)84.75.25

الموقع الإلكتروني: LLGC.univ-annaba.org

## الافتتاحية

### الخطابات الأدبية بين التفاضل و التكامل

أما قبل ؛

فها هي مجلة التواصل الأدبي تكمل مربعها الأول بعد انقطاع طويل، كان نتيجة طبيعية لسلسلة من العقبات أخرت ظهور هذا العدد الرابع بخاصة، وكأن حلت به اللعنة اليونانية التي قادت أوديب إلى مصيره المأساوي وفق ما جاء في الأسطورة.

ولكن وبعد لأي، ذلت تلك العقبات بفضل صلابة عزيمة القائمين على شأن المجلة وإصرارهم على قيادة السفينة إلى المرفأ الآمنة، وهي رسالة واضحة الدلالة، تطمئن قراء المجلة من جهة، وتؤكد من أخرى أنها ماضية في سبيل نشر رسالتها المعرفية التنويرية، لتعميق الوعي بالكتابة الأدبية وبطرق مقاربتها.

وأما بعد ؛

فإن مدار هذه الافتتاحية على قضيتين:

أهدف من خلال الأولى إلى توضيح أيهما أنسب إلى الأدب "التفاضل" أم "التكامل" ؟، وأجلّي هذه الفكرة من خلال الثانية (قراءة في العدد) بوقفه نقدية عند بحوث هذا العدد.

يدل التفاضل على تفوق عنصر على آخر أو قيمة على أخرى، فيكون الفاضل في مرتبة أعلى والمفضول في مرتبة أدنى، ويتجلى ذلك على صعيد الخطاب الأدبي في الإعلاء من قيمة خطاب، فيوصف بالجودة ويطامن من قيمة آخر فيوصف بالرداءة.

واللافت أن صفتي الجودة والرداءة هما صفتان نسبيتان لارتباطهما بالمتلقين، فواحد يُعطي من قيمة خطاب ما في حين يحطّ آخر من قيمة هذا الخطاب نفسه فيرمي به في أسفل الدركات.

وعلى هذا الأساس يحمل كل خطاب الصفة ونقيضها، فهو جيّد ورديء في آن، ممّا يقتضي وضع كل الخطابات الأدبية في درجة واحدة من سلم القيم، وبالتالي تصنّف تصنيفاً أفقيّاً بدلاً من التصنيف الرأسي التفاضلي.

يدلّ التكامل على تكافؤ الخطابات وتناظرها، فلكل خطاب أهميته لأنه يعدّ إضافة إلى التجربة الأدبية ممّا يقتضي تضامن هذه الخطابات على تعدّدها واختلافها لتشكل في النهاية خطاباً شاملاً، يستوعب كل التجارب بدلاً من الإقصاء.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى الفرق البين بين تكامل الخطابات ها هنا وبين شمولية الخطاب عند دعاة نظريات الخطاب (من أمثال: "هاريس" و "إيست هوب، وغيرهما...") الذين اعتبروا كل ما ينتجه الناس خطاباً سواء أكان ذلك خطاباً أدبياً أو فلسفياً، أو دينياً، بما في ذلك خطابات أهل المهن والصناعات. فوضعوا بذلك أعمال "شكسبير" و "إدغارد ألان بو" و "دايسكوفسكي" في مرتبة واحدة مع خطابات أصحاب المهن وكل الفئات الاجتماعية، لأنهم ركّزوا على الاتصال أو التواصل وأغفلوا الجانب التشكيلي الذي يميّز الأدب عن غيره.

في حين أن التكامل الذي أقصده ها هنا هو تكامل الفنون أو تكامل يتم على صعيد العناصر التي تكوّن دائرة الفن عموماً والتي ينبغي أن توضع خطاباتها في أعلى درجات سلم القيم.

وتأتي وجهة هذا الطرح من العلاقات القوية التي تربط بين الفنون جميعها، ومن أمثلة ذلك التداخل بين فني الشعر والرسم إلى درجة جعلت قدماء اليونان يعرفون الشعر بأنه رسم ناطق والرسم بأنه شعر صامت، ولم يفلح الناقد الألماني

"ليسينغ" الذي حاول في القرن الثامن عشر طمس العلاقات بين في الرسم والشعر مبرزاً الفوارق الجوهرية بينهما، ولكن النقاد الذين جاءوا من بعده أعادوا الاعتبار إلى هذه العلاقة، فأكد "بودلير" (ق19) ذلك بقوله: ((ومن المظاهر المميّزة للوضع الروحي في قرننا أن الفنون جميعاً تنزع نحو تعزيز أحدهما الآخر في أقل تقدير)) {جيفري ميزر: اللوحة والرواية}، ويرى "بروست" أن الرسم ينافس الشعر في الكشف عن جواهر الأشياء.

ويعزز "جيفري ميزر" اعترافات الروائي "د.ه. لورنس" في بحثه "صناعة الصورة" أن الرسم يشكل مصدراً يستقي منه الروائيون أعمالهم الروائية، حيث تحولت لوحات كثيرة إلى أعمال روائية مثل لوحة "دائمة الخيل" لـ "مارك غيزيتلر" التي حولها "د.ه. لورنس" إلى رواية "نساء عاشقات"، ومثل لوحة "المسيح داخل القبر" لـ "هولباين" التي حولها "دايسكوفسكي" إلى رواية "الأبله".

وأما على صعيد العلاقات البيئية {أدب/أدب} فإنها تكون أكثر اتساعاً وتداخلاً، وهو ما كشف عنه البحث في قضية السرقات الأدبية قديماً وأكدده مفهوم التناص حديثاً، وفي هذا السياق نشير إلى أثر رواية 'دايسكوفسكي': "الإخوة كرامازوف" على رواية 'طوماس مان' "الدكتور فاوست" حيث اعتبر حوار "أدريان" مع إبليس صورة لحوار "إيفان" مع الشيطان في "الإخوة كرامازوف"، وهذا غيض من فيض.

وفي ضوء ذلك يصبح البحث عن الفرادة في النص الأدبي أمراً غير ميسوراً إن لم يكن مستحيلاً، فالخطابات الأدبية إما أشباه أو نظائر، مما يجعل فكرة التكامل أمراً منطقياً تفرضه علاقات الخطابات الأدبية ببعضها بصرف النظر عن اختلاف مذاهبها وأجناسها الأدبية.



وينسحب هذا المفهوم على الخطابات النقدية التي ينبغي أن تُراعى خصوصية كل خطاب لتشكيل خطاباً نقدياً شاملاً تتضافر فيه كل الخطابات على اختلافها. لا مراء في أن هذه الخطابات تنشأ بدافع حاجات البحث المتنوعة، حيث يصبح كل منهج ضرورة من الضرورات لحل معضلة لا يمكن لغيره أن يقوم بها. الحاجة التي دفعت "فرويد" إلى اصطناع المنهج النفسي بدلاً من المنهج السيري هي أنه يدرس شخصية غير سوية وبالتالي فهو يبحث عن عقدة نفسية هي سبب الإبداع عند المبدع وهذا أمر لا يتأتى لمطبقي المنهج السيري الذي يدرس شخصية سوية، ولا مراء أيضاً في أن النظريات المتجهة إلى المبدع لا يمكن أن تحل محل النظريات المتجهة للمتلقي بالرغم من تماثلهما فكل منهما يرى أن النص يمثل شيئاً خارجاً عنه مبدعاً أو متلقياً، فكل يبحث عن شيء ضاع له في النهر، وبالتالي فتماثلهما لا يلغي المسافة بينهما، فشتان بين من يبحث عن صورة "امرؤ القيس" في شعره وبين من يبحث عن صورته في شعر "امرؤ القيس".

ومن هذا المنظور يمكن استثمار "النسقية التاريخية" و"النسقية النصية" {التعبير ل : جيزيل فالانسي} في الدراسة الأدبية لأن كل منهما يغطي جانباً لا يغطيه الآخر، فالنسقية التاريخية تمكّن من البحث عن ظاهرة في الزمان من الومضة إلى النص على غرار ما قام به "بيير دي بيازي" في النقد التكويني حيث قسم ميلاد النص إلى أربع مراحل سمّاها:

1. مرحلة ما قبل الكتابة

2. مرحلة الكتابة

3. مرحلة ما قبل الطباعة

4. مرحلة الطباعة

في حين أن النقد النصي يتوسع في دراسة حالة ساكنة، فيبحث في العناصر التي شكلت هذا النص أو ذاك، فتكاملهما يؤدي إلى دراسة مراحل تكون الإبداع ومرحلة تجلّي الإبداع.

## قراءة في العدد:

يتشكل هذا العدد الرابع من مجموعة من الأبحاث تنوعت بين التنظير والتطبيق والترجمة:

1. يعالج المحور النظري قضية التعالقات النصية كما يتبدى في دراسة "موسى مريان" في السّرققات الشعرية وأنواعها، وكما يتبدى في دراسة "مُحَمَّد رضا بن طبوله" عن علاقات النصوص في الشعرية العربية.

2. ويضم محور الترجمة بحثاً لـ "سيمون فريس" (ترجمة: عبد المجيد حنون) توضح فيه الباحثة الحاجة إلى أسطرة الواقع.

ويضم المحور التطبيقي تسعة دراسات مختلفة اختلاف الإشكاليات المطروحة وطرق مقاربتها، وتتميز هذه الدراسات بثلاث ميزات رئيسة هي:

1. تنوع المناهج، حيث شملت المنهج الأسطوري الذي استعان به كل من "نظيرة الكنز" و "سامية عليوي" و "عبد الحليم منصور"، والمنهج الاجتماعي كما يبدو في دراسة "رضوان عجّاج إيزولي"، و "إسماعيل بن اصفية" و "صالح ولعة"، والمنهج التداولي الذي استعان به "علي خفيف" و "راضية بوبكري"، والمنهج السيري الذي اقتضته دراسة "عمار رجال".

2. تنوع الأجناس الأدبية مدار الدراسات وشملت الشعر، والمسرح، والرواية، والخطبة، والمذكرات، فضلاً عن الخطاب السياسي.

3. تنوع المصادر التي استقى منها الأدباء مادتهم لتشكيل إبداعاتهم، فلجأ بعضهم إلى الأسطورة، ووظف آخرون التاريخ، ولجأ البعض إلى الراهن الذي يشكل حياتهم اليومية واستقوا منه مادتهم.

ولكن خلف هذا التنوع (المناهج - الأجناس - مصادر التجربة) تقبع قضية جوهرية يتقاطع فيها الجميع، وهي اعتبار النص بنية دالة وليس مجرد تشكيل لفظي، وبتعبير الفلاسفة فإنهم يرون الأدب وسيلة وليس غاية في ذاته، يتبدى ذلك في سعي كل دراسة إلى إبراز الدور الفاعل الذي يضطلع به الأدب في حياة الأمم. ولكن كل دراسة وضعت إستراتيجية خاصة بها حفظت لها حدودها كما يتجلى في تتبع كل دراسة على حده.

- تكشف دراسة "نظيرة الكنز" عن تكاتف الخيال الأدبي مع النصوص المؤسسة في رسم صورة النبي "سليمان" (عليه السلام) مما يدل على تشارك الأدب والتاريخ والنصوص المقدسة.

- وترى "سامية عليوي" أن "نزار قباني" وظف رمز "شهرزاد" لتحديث عن وضع المرأة العربية التي ينبغي أن تثور على واقعها وتكسر قفص الحريم، لتحقيق إنسانيتها.

- ويصب بحث "عبد الحليم منصوري" في هذا المجرى حين يكشف عن توظيف بعض الرموز الأسطورية اليونانية للتعبير عن الواقع الجزائري.

- ويتواشج الحسني والمعنوي في الشعر الصوفي كما يراه "رضوان عجاج إيزولي" لتبليغ رسالة ما، وبالتالي ليس الشعر مجرد شطحات صوفية بلا دلالة.

- ويطرح "إسماعيل بن اصفية" قضية الالتزام في مسرح "الشرقاوي" الذي كشف عن وعي سياسي واجتماعي في مسرحية "ثأر الله".

- ويشاركه "صالح ولعة" من خلال "خطاب المدينة" حيث يعتبر الفنان مؤرخاً يحفظ الذاكرة التاريخية من عبث الأفلام المأجورة.
  - ويكشف "علي خفيف" أن تواشج الشعرية والتاريخ والسياسة كان سبباً في تأثير "طارق بن زياد" في مُتلقيهِ الذين سارعوا إلى الجهاد.
  - وترى "راضية بوبكري" أن الأبعاد الإنسانية تعدّ من استراتيجيات الخطاب السياسي إلى جانب قضايا أخرى.
  - ويعد "عمار رجال" مذكرات "أندريه جيد" وثيقة تاريخية مهمة تسهم في رسم صورة الجزائر من خلال بعض مدنها في مرحلة تاريخية معينة.
- يؤدي تكامل هذه الدراسات إلى تشكيل خطاب نقدي متعدد العناصر كصورة تناسقت ألوأها ، وهو ما لا يحققه "التفاضل" القائم على الإقصاء.
- ولهذا ينبغي أن تُصَرَف عناية الباحثين في هذا المجال إلى الكشف عن الأماكن المظلمة التي يثيرها كل منهج، وبالتالي البحث عمّا يضيفه كل واحد إلى التجربة النقدية. وهو ما يؤدي بالتالي إلى تجنب الأحكام التفاضلية التعسفية المخالفة لمنطق البحث، لأنها تعتمد معايير غير فاعلة مثل المعيار الزمني والانتصار لأحد الطرفين ، إمّا القديم وإما الحديث. كما يتجلى في الثنائيات حديث/قديم، أو جديد/تقليدي.
- ويمكن الاحتكام إلى معيار حضاري: تقدم/تخلف، وهو ما يؤدي إلى إفقار التجربة النقدية. بينما يؤدي التكامل الذي يقرّ مبدأ التكافؤ بين الخطابات غلى إغنائها.
- وقد كشف "مالكوم كاولي" عن أهمية التكامل حين شبه تعدد الممارسات النقدية وتنوعها ببيت متعدد النوافذ، وهو تشبيه يجسد واقع الإبداعات أيضاً.

رئيس التحرير:

د. مُحمَّد بلواهم

## الفهرس

|             |             |
|-------------|-------------|
| 11-5.....   | الافتتاحية. |
| 13 -12..... | الفهرس.     |

### أولاً: الدراسات:

|           |                                                                                        |
|-----------|----------------------------------------------------------------------------------------|
| 14 .....  | 1. نظيرة الكنز                                                                         |
|           | سليمان ((عليه السلام)) في الأدب العربي بين النصوص المؤسسة والمتخيلة                    |
| 39 .....  | 2. سامية عليوي                                                                         |
|           | من الأنوثة والجمال إلى الثورة والخلاص، شهرزاد في شعر نزار قبّاني - دراسة نقدية أسطورية |
| 66 .....  | 3. عبد الحليم منصوري                                                                   |
|           | ملاحم أساطير إغريقية في روايات جزائرية - دراسة نقدية أسطورية                           |
| 83 .....  | 4. رضوان محمد سعيد عجّاج إيزولي                                                        |
|           | تجليات الحب الإلهي وفلسفته في الشعر الصوفي " أبو مدين التلمساني أمّوذجاً "             |
|           | دراسة تتناول العلاقة بين الحب الصوفي والحب العذري                                      |
| 112 ..... | 5. إسماعيل بن اصفية                                                                    |
|           | وقائع الماضي وجراحات الحاضر في مسرحية " ثأر الله " لعبد الرحمن الشرقاوي                |
| 131 ..... | 6. صالح ولعة                                                                           |
|           | خطاب المدينة ؛ قراءة في "عالم بلا خرائط " جبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف           |
| 149 ..... | 7. علي خفيف                                                                            |
|           | خطبة طارق بن زياد بين الشّعرية والسياسة والتاريخ - دراسة تداولية                       |
| 167 ..... | 8. راضية بوبكري                                                                        |
|           | الخطاب السياسي ، أصوله النظرية والمنهجية ، وأبعاده الإنسانية                           |

9. **عمار رَجّال** ..... 190

الجزائر في كتابات " أندريه جيد "

10. **موسى مريان** ..... 205

السِّرقات الشعرية وأنواعها في نظر ابن رشيق القيرواني

11. **محمد رضا بن طبولة** ..... 222

علاقات النصوص في الشعرية العربية القديمة في ضوء مفهوم التناس

### ثانياً: ترجمات:

12. **سيمون فريس** Simone Fraisse ..... 237

أسطورة جان دارك ، ترجمة الأستاذ الدكتور: عبد المجيد حنون.

# الجزائر في كتابات " أندريه جيد "

بقلم الدكتور: عمار رجّال

قسم اللغة العربية و آدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار - عنابة

## الجزائر في كتابات " أندريه جيد "

### تمهيد:

كانت حياة أندريه جيد<sup>(1)</sup> André Gide رحلة دائمة، إذ لم يكن يستقر به مكان حتى يتنازعه الشوق إلى مكان أو بلد آخر. لقد قضى حياته في سفر و ترحال دائم بين بلاد الشرق و الغرب منذ كان فتى حتى وفاته شيخا. تجول طويلا و بخاصة في مدن إيطاليا وانجلترا وألمانيا وسويسرا... واهتم بشؤون إفريقيا السوداء فزار "تشاد" و"الكونغو"... ووصل به حب الاستطلاع إلى زيارة مصر ولبنان وسوريا وتركيا وروسيا... وأعجب كثيرا بتونس والمغرب الأقصى لكنه انبهر بالجزائر فسجل عنها أروع الصفحات.

### الدافع إلى الرحلة:

نشأ أندريه جيد في ظروف جد قاسية نفسيا حيث مات والده وتركه صغيرا يصارع صرامة أمه الكاثوليكية وسكوت قريبته التي كان يحبها كثيرا، كانت سنواته الأولى عبارة عن سجن حقيقي يخضع فيه لقوانين ومبادئ لا يمكنه أن يجيد عنها، فشب معقدا يرى نفسه لا يشبه أترابه، وكان يجد عزاءه الوحيد في الكتب على اختلافها، وما يهمنا منها هو ماله علاقة بالرحلة كألف ليلة وليلة والأوديسة... واطلع كذلك على ما كتبه معاصروه عن أرض إفريقيا بعامة و الجزائر بخاصة، ولا شك في أن "غوته" Goethe.

بكتاباته المختلفة عن الرحلات لاسيما ديوانه "المؤلف الشرقي المؤلف الغربي" أثر فيه كثيرا إذ كان يرى: "أن متعة الهروب من المدينة الأوروبية بما فيها من صراع تتحقق بالتوجه إلى حياة الماضي الوديع الممتلئة في حضارة الشرق".<sup>(2)</sup>

إن رحلة جيد إلى الجزائر لا علاقة لها بالصدفة حيث تلقى دعوتين، الأولى من ابن خالته "جورج بوشيه" إلى "أيسلندا" في إطار رحلة علمية، والثانية من صديقه "بول ألبير لورنس"



دعاه فيها إلى جولة فنية في إفريقيا، و بعد تردد طويل قبل دعوة صديقه لأنه اقتنع بفكرة الذهاب إلى حيث ينسى معاناته، إذ لم يعد يقدر على العيش تحت وطأة قيم التحجر والجمود، فانطلق مع الموجة التي شقت البحار لتتوقف عند مرفأ عالم جديد يتنفس فيه عبير الحرية التي طالما أوصدت الأبواب دون شمسها في الأسرة والمحيط.<sup>(3)</sup>

هكذا شد جيد الرحال إلى إفريقيا لأنه كان يشعر بالاختناق في بيئته، ولأنه تعلم من الكتب بأن الرحلة كثيرا ما تفتح صفحات جديدة في حياة الأشخاص، وما كان عليه في أواخر أكتوبر من عام 1893 إلا أن يركب الباخرة قاصدا الجزائر عليها تجود عليه بما يختلج في نفسه و يتمناه قلبه.

### رحلاته إلى الجزائر:

زار أندريه جيد على فترات مختلفة متفاوتة فيما بينها سواء من حيث الفاصل الزمني أو من حيث مدة الإقامة في كل منها، وعرض سريع لهذه الرحلات يمكن الدارس لا محالة من إدراك الاهتمام الكبير الذي كان يوليه للجزائر، ثم إن الصورة التي رسمها لهذا البلد توزعت على كثير من كتبه، كما استغرقت مدة إنجازها أكثر من خمسين سنة، وذلك ما جعلها تزخر بألوان مختلفة متجددة، وبأناشيد متنوعة و روائح تهمز النفس هزا...

جاءت رحلات جيد إلى الجزائر كالتالي :

1. في أواخر أكتوبر من عام 1893 زار مدينة بسكرة قادما إليها من تونس وأقام بها إلى نهاية يناير 1894.
2. في أواخر فبراير 1894 عاد إلى مدينة الجزائر وظل ينتقل بينها وبين مدينة البليدة حتى بداية عام 1895.
3. في فبراير 1896 مكث شهرين مع زوجته ينتقل بين مدن الجزائر وبسكرة وتونس.

4. في أبريل 1899 خص مدينة القنطرة بزيارة دامت شهرا كاملا.
5. في ديسمبر 1900 عاد إلى مدينة الجزائر و منها توجه إلى بسكرة وتوقرت.
6. في خريف 1903 زار مدينة الجزائر ومدينة بسكرة.
7. في شتاء 1928 عاد إلى الجزائر وتنقل بين مدن كثيرة.
8. في مايو 1943 تنقل كثيرا بين المغرب والجزائر حتى يونيو من نفس السنة.
9. في السابع من فبراير 1944 عاد إلى الجزائر وتنقل بين البليدة وتيبازة... حتى أكتوبر من السنة نفسها.
10. في الخامس من يناير عام 1945 عاد إلى الجزائر و زار منطقة الجنوب.<sup>(4)</sup>

### مدينة بسكرة:

وصل جيد أواخر أكتوبر من عام 1893 إلى مدينة بسكرة مريضا حتى انه أحس بأن حياته في خطر،<sup>(5)</sup> ورغم ذلك قام بجولات قصيرة عبر شوارعها حيث يتمايل النخيل ويحيط الأولاد بكل زائر أجنبي بدافع الفضول والترحاب... ساعتها شعر بأن كل شيء بدأ يأخذ معنى و طعما في "هذا المكان"، عادت الحياة تدب فيه شيئا فشيئا بصفة طبيعية، بل شعر بأنه يحيا لأول مرة ويتنفس ويستنشق، وأنه غادر وادي الموت والظلام، كانت حواسه جميعها تهتز لكل صوت و رائحة ولون<sup>(6)</sup>... لم ينس أن يسجل هذا الشعور المفاجئ بكثير من الامتنان والعرفان: "أقعدني المرض، وسافرت وقابلت مينالك"، وكانت نقاهتي العجيبة، ولدت مجددا في كائن حي، تحت سماء جديدة، وبين أشياء متجددة تماما".<sup>(7)</sup>

وانطلاقا من هذا الإحساس الغريب والمتفائل في الوقت نفسه، ظلت مدينة بسكرة تستحوذ على قلبه وكيانه، وبقي ينظر إليها بعين متميزة، وكان كلما غادرها شعر بحزن شديد لا يقدر على مقاومته إلا بالعودة إليها وبأسرع ما يمكن، إنه الحنين لمكان أعاد الحياة من جديد وبعث الراحة والطمأنينة في جسم مريض: "بسكرة ! هذا المكان الذي أريد العودة

إليه! نعم ها هي الحديقة العمومية وها هو المقعد ... لقد عرفت المقعد الذي كنت أجلس عليه في الأيام الأولى من نقاهتي". (8)

لقد ظل جيد يتذكر ويحن إلى كل كبيرة وصغيرة في مدينة بسكرة أضفت على نفسه بحجة وسرورا، وكم كان يجد متعة في تدوين ذلك بكثير من البراعة والإحساس والفن: "حدائق بسكرة":

الجو المكفهر اليوم، سمره معطره، طراوة بليلة، قطرات كثيفة أو عريضة، وثابه، وكأنما تتكون في الهواء... تستقر على الأوراق تثقلها ثم تسقط بغتة.

أذكر مطرة صيف، ولكن هل كان ذلك مطرا، هذه القطرات الفاترة التي تسقط عريضة مثقلة على جنة النخيل هذه، في يوم أخضر وردي، ثقيلة حتى إن الأوراق والأزهار وقعن كأنهن غطاء حب من أكاليل زهر ذابلة على الماء والسواقي تجر الطلع من أجل إنجاب بعيد، إن مياهها عكرة صفراء، وفي الأحوال تهيم الأسماك ويسمع في مصب الماء انفتاح أفواهاها ...

وماء السماء عابر سبيل وسط الصيف، تثقل الأقمشة وتغسل الأجسام... إني كنت أبقى على هذا المقعد بعد انصرافهم دون مقاومة من أجل الحب، وعندما تسيل الأغصان، بعد انقطاع المطر يخلع كل منا نعليه، ويجوس بقدميه في الأرض المبللة، وفي رطوبتها لذة... ماء قاتم، لا تتميزه ليلا حتى يفضضه القمر، وكأنما ولد بين الأفنان، تتحرك فيها حيوانات الليل". (9)

إن شعور جيد بمتعة المكان وفتنته ورمزيته وذكرياته... يحتم عليه أن يسجل ذلك بكثير من العناية الممزوجة بالمتعة والانبهار، فهو يعترف بعجزه على مقاومة فتنة واحات بسكرة، ومن واجبه أيضا أن يذكرها بكثير من الامتنان:

"الواحات تعوم فوق الصحراء كأنها جزر، ومن بعيد قواعد خضرة النخيل: الينبوع الذي ترتوي منه عروقها، أحيانا يكون فياضا تنحني عليه أشجار الدفل... إن فتنة أزهار هذه الحدائق كانت تغريني فلا أريد الافتراق عنها.

واحة، والتالية كانت أروع جمالا، وأكثر امتلاءا بالزهر والضجيج، أشجار أكبر تنحني على مياه أغزر، كان الظهر فاغتسلنا، ثم حم علينا الفراق.

واحة، ماذا أقول في التي كانت بعدها؟ كانت أوفى جمالا وانتظرنا فيها المساء.

يا حدائق سأظل أذكر ما كنت عليه من هدوء وبهيج قبل العشاء !

حدائق، إن منها ما نحسب أننا نغتسل فيه، ومنها ما ليست إلا مخضرة رتيبة ينضج فيها المشمش، وغيرها مليء بالأزهار والنخل".<sup>(10)</sup>

ظل جيد وفيما لكل الناس الذين تعرف عليهم في بسكرة والتقى بهم في مناسبات مختلفة، يذكّرهم بكثير من الحب والإعجاب، ويمجد متعة كبيرة في الحديث عنهم، إنهم جزء من حياته وعناصر هامة في إبداعه وأدبه، فهو يحلو أن يصور إعجابه بأطفال بسكرة في مختلف أعمارهم، فبالرغم من بساطة عيشهم كان يرى فيهم قوة وصلابة، فهو مثلا في "اللا أخلاقي" L'immoraliste يتكلم عن "بشير" في أكثر من صفحة بنوع من الإعجاب والاهتمام في الوقت نفسه، يصف لباسه المتواضع المتمثل في "قندورة" و"شاشية" و"برنوس" بال... وهي النظرة نفسها لبقية الأطفال كـ "عاشور" و"لوصيف" الذي كان يعزف أحيانا بالناي وهو يعزى الماعز، كما لم ينس أن يعبر عن إعجابه بفتيات بسكرة، ولم يجد أي حرج في التكلم عن "مريم" على صفحات طويلة سواء في مذكراته أم في مؤلفات أخرى، يتحدث عن بشرتها المائلة إلى السمرة، وعن قوامها الكامل المعتدل، وعن سوارها الذي يتدلى محدثا صوتا باستمرار... وعن براءة الطفولة التي لحها في عينيها.<sup>(11)</sup>

لم يفوت جيد الفرصة بالاستمتاع بموسيقى الجزائر، فهو يذكرها دوما ويعترف بسحرها وتأثيرها، فكم من مرة نهض من مكتبه وهو في غمرة المطالعة لمجرد تردد صدى صوت الطنابير، إنه لا يستطيع أن يقاوم سحر تلك الأنغام العجيبة التي كان جسمه كله يرتعش لها، ويتعجب في الوقت نفسه متسائلا: كيف لآلات بسيطة أن تحدث مثل هذا التأثير؟ ثم يدرك أنها من صنع رجال يتمتعون بموهبة كبيرة، ويحبون فنهم ويعيشون من أجله، ويعجب عندما يحضر الحفلات والأعراس و لا يرى أي فرنسي أو أجنبي.

يسجل جيد بفخر كبير تلك اللحظات التي كان يعيشها مع أبناء بسكرة، لحظات ظل يذكرها ويحن إليها على اعتبار أنها لحظات أمل وطمأنينة لرجل مريض جسميا ونفسيا، فهو يكتب عن خروج الأطفال من المدارس ولعبهم المختلفة كالكريات (Billes) والسدادة (Bouchon) التي كلن يخسر فيها بعضا من نقوده. كان يفضل الحديث مع هؤلاء لوقت طويل، مستمتعا بقصصهم، محدثا إياهم عن قصص يعرفها، وكثيرا ما كانوا يسرون معه عندما يحلو له التنزه والمشي، فمنهم من كان يحمل له معطفه، ومنهم من كان يحمل خماره الصوفي... ولا ينسى عندما يغادرهم أن يوزع عليهم بعض المال، وهناك الكثير ممن يأتون إلى بيته بدعوة أو بدونها، لقد كان يرى في هؤلاء الأطفال وبراءتهم واندفاعهم... عزاء وتسلية عندما يشتد عليه المرض، فمجرد جلوسهم أمامه والنظر إليهم يساعد على الشفاء.<sup>(12)</sup>

كم كان يحلو له الجلوس مع "الصادق" وبعض الأولاد الذين كانوا يكونون حلقة ويستمعون إلى الصادق وهو يعزف على الناي ويشعر ساعتها كاتبنا بأن الوقت يمر، لكن كيف؟ كان يجد متعة في المشي مع "الصادق" والحديث إليه، أو في لعب الأوراق مع "بشير" و"محمد" و"العربي"... وإذا كان هناك شيء ينغص عليه لحظات هذه السعادة فهو إنه يجد نفسه أحيانا مضطرا إلى مغادرة بسكرة، وهذا ليس بالأمر الهين! إنه عندما يغادر هذه المدينة، يشعر كأنه يبتعد و يتخلى عن شبابه وما يأتي الرحيل إلا بعد تردد كبير.<sup>(13)</sup>

تمثل ذكريات بسكرة في كتابات جيد العالم و الحياة و الوجود... فهي الجنة التي يطيب فيها الحديث عن كل شيء و الاستمتاع بكل ما تشتهي النفس بدون قيد أو شرط.

### مدينة الجزائر:

كان لمدينة الجزائر أيضا نصيب من اهتمامات الكاتب، تحدث عنها في مناسبات مختلفة... تارة يحن إلى الذهاب إليها و أخرى يريد الهروب منها بأسرع وقت ممكن لأن نداء بسكرة يطارده دوما.

إن مدينة الجزائر تفتتح أمامه ديكورا مغايرا لما شاهده في بسكرة:

"مدينة الجزائر"

السفوح التي ربضت عليها الروابي.

المغرب التي تلاشت فيها النهارات.

الشواطئ التي تدفقت عليها فتيان البحر.

الليالي التي هجعت فيها لواعج غرامنا...

الشواطئ التي هدأت - السفن في المرفأ.

سنرى اللجج التي خفت.

نوم الطيور الرحالة والقارب الراسي،

الكساء يأتي إلينا فاتحا مرساه الرحيب.

من السكوت والصدقة.

هذه هي الساعة التي ينام فيها كل شيء". (14)

ظلت مدينة الجزائر قبلة الكاتب عندما يطول به المقام في الجنوب يقصدها حين يشعر بأنه في حاجة إلى الجديد، إلى التبدل والتغير كي يبقى لحياته طعما ومعنى، وحتى لا يثقل التعود كاهله ويشغل باله وفكره: "حينما عشت في مدينة الجزائر، إذ كنت أقضي نهاية النهار

في ذات المقهى المغربي الصغير، فإنما ذلك بحثا عن التبدل الخفي بين مساء وآخر لكل كائن ولأرى الزمن يتغير ولكن بطيئا ولو في حيز ضئيل". (15)

يكتب جيد لشدة تعلقه بالشعب الجزائري عن الظاهرة أو المظهر الواحد مرات عديدة، فكأن لهذا البلد عنده سر التبدل والتغير، وفي حقيقة الأمر هي حالته النفسية التي منذ حلّ بالجزائر وهي في تحسن مستمر نحو ما يريده وبيتيه، فلا يمل الكتابة عن نفس المقاهي التي رآها وجلس بها في مدينة الجزائر وبقي يعيش حركاتها ونشاطاتها: "مقاه أيضا ! مقاه مغربية ! وأحيانا يقص فيها شاعر قصاص حكاية طويلة، فكم من ليال كنت أستمع إلى هذه الحكاية دون أن أفقه منها شيئا"، (16) ويضيف مؤكدا: "والعرب يجولون فيها بثياب بيضاء، وأولاد يَحِيل لي إنهم أصغر من أن يعرفوا الحب، وبينهم ذوو شفاه كصغار العصافير المحتضنة". (17)

كيف لا يشعر أندريه جيد بعد هذا كله، بألم كبير إذا ما دعت الظروف إلى مغادرة هذه المدينة، هذا البلد ؟ وكيف لا يسجل بتأثر بليغ شعوره وهو يغادر الجزائر "في حقيقة الأمر، يتمزق فؤادي كلما حان الوقت لمغادرة هذا البلد". (18)

## مدن أخرى:

كانت لجيد وقفات أخرى متميزة في مدن كثيرة يحلو له أن يستحضر عبرها لحظات أو أيام قضاها هناك منها:

## البليدة:

"...أما في بليدة التي لجأت إليها فقد وجدت البرتقال مزهرا.  
أخرج منذ الصباح، أتنزه، لا أنظر إلى شيء وأرى كل شيء  
سمفونية رائعة تتألف و تنتظم في ذاتي أحاسيس غير مسموعة ...  
ثم اختار مخلوقا أو شيئا ألهو به، لكنني أريده متحركا لأن انفعالي،

إذا حدد لا يعود حيا، ويبدو لي آتئذ في كل لحظة جديدة أني  
لم أر بعد شيئا ولا تذوقت شيئا ... هرعت أمس إلى أعلى الروابي  
المشرقة على بليدا لأرى الشمس مدة أطول، لأرى غروب الشمس  
والغيوم الملتهبة تلون السطحيات البيضاء". (19)

### القنطرة:

بقي جيد وفيما لشعاره: "جبت مدنا ولم أشأ التوقف في أي مكان" فهو برغم انبهاره  
بطبيعة البلدة وإعجابه بمدينة الجزائر وسعاده في جنة بسكرة، كان مقتنعا بأن هناك أماكن  
أخرى بالجزائر تستحق المغامرة والاستكشاف، بالإضافة إلى فضوله والبحث عن ذاته وإشباع  
جوعه: "أين نجد،" يا تنانيل"، في أسفارنا ثمارا جديدة لتمنحنا رغبات أخرى". (20)

ويأتي الجواب من مدينة القنطرة وبالضبط عبر ظلها الدافئ والأجمل من البدر في ليلته،  
فهو يشبه مشروبا ينساب حوله ولا يعرف توقفا، وكذلك عبر البخار المتصاعد فوق البيوت  
الترابية إلى جانب الدخان الأزرق الذي كان يلف الواحة... لقد كانت المناسبة آتئذ شهر  
رمضان ولا شيء يدفع للتأمل أكثر مما يرى ويشاهد. (21)

### توفرت:

تأتي هذه المدينة لتذكر الكاتب بأشياء كثيرة اكتشفها بها لأول مرة وظل يحن إليها  
معترفا بأنها فتحت عينيه على عالم جديد وجعلته يكتشف نفسه تدريجيا:

"في ساحة توفرت باعة عطور، وقد اشترينا منها أنواعا شتى من الأطياب وتنشقنا  
بعضها ومضغنا البعض الآخر، والباقي يحرق من ند وعود، وهذه المعطرات الملتهبة كان لها  
أحيانا شكل اللدائن، تنشر عند إحراقها، دخانا غزيرا يمتزج فيه عطر بخور، ودخانها يساعد  
على إثارة التجليات الدينية، وهي التي تحرق في حفلات المساجد، أما التي تمضغ فتملا الفم



فورا مرارة وتترك صبغا على الأسنان بشكل منفرد، ويستمر طعمها في الحلق طويلا بعد بصقتها، أما التي تشم فهي للشم وحده". (22)

جاء أندريه جيد الجزائر طولا وعرضا وبلغ به حب الترحال و السفر بها إلى زيارة مدن أخرى ك **سطيف** و**قسنطينة** بل الوصول إلى واحات "أوماش" و"شتما" ومدينة "المغير" ومثلها مدينة **الوادي** التي قطف بها بعض "ورود سوف" حسب تعبيره.

يرفض جيد أن تغيب عنه صورة الجزائر التي شكلها بجوارحه، وحتى تبقى حية في عقله ووجدانه لم ينس أن يأخذ في آخر زيارة لها باقة ورد تفوح عطرا: "إنه أجمل وألذ وداع تقدر على منحه لي أرض إفريقيا". (23)

### صحراء الجزائر:

سحرت الجزائر أندريه جيد، فتعلق بها أكثر من أي بلد آخر، و لو تساءلنا عما سحره فعلا فيها لما وجدنا جوابا آخر غير "الصحراء"، فلا شيء آخر استطاع أن يستحوذ على شعوره و وجدانه أكثر من الصحراء، لقد فتنته و سحرته، و قبل هذا كانت عاملا أساسيا في استعادة صحته وحالته الطبيعية، كان في السنة الأولى من قدومه إلى الجزائر يخشى الصحراء ومفاجأتها برياحها و رمالها... لكن سرعان ما أصبح يُفضّل السير فيها إلى درجة تختبئ فيها الواحات، إلى درجة يشعر فيها بأنه وحده في هذا العالم. لم يتردد في البوح بحبه للصحراء: "وفي اليوم التالي أغدو ولا أحب إلي من الصحراء"، (24) قد نجد ما يبرر مثل هذا التصريح، عالم مليء بالمتناقضات، يوحي ببعض المخاطر... لكنه مع ذلك عالم يوحي بالتأمل، واحتفظ على مِرّ العصور بقيمته التاريخية المتمثلة في حب الأنبياء له وتفضيله كأنسب مكان لأداء رسالتهم: "أيتها الأرض القاحلة، الأرض التي لا خير فيها، ولا عذوبة، أرض العاطفة والورع، الأرض التي أحبها الأنبياء. آه ! أيتها الصحراء المؤلمة، صحراء المجد، إني أحببتك حبا جما". (25)

إنّ تعلقه بالصحراء مكنه من بلوغ القمة في الوصف، فبقدر ما كانت تلهمه، بقدر ما كان هو وفيًا بالتغني بها والحنين إليها وذكرها بكل جميل متميز:

"إنّي أحبك حبا جما يا صحراء الرمل ! آه ! أية حياة تتذكر أيها الغبار ؟ متيم بأي حب ؟ الغبار يريد أن تمدح و تشكر.

يا روحي، ماذا رأيت على الرمل !

عظاما نخرة، وأصدافا فارغة...

أريد أن أمضي في الحديث عن الصحراء ...

صحراء من صلصال، هنا كل شيء يمكن أن يحيا لو سال قليل من الماء، ما أن يهطل المطر حتى يخضر كل شيء، وعلى الرغم من شدة جفاف الأرض التي لم تألف الابتسام، فالعشب فيها كأنه أكثر نضارة وأزكى عطرا مما هو في غيرها، وهي أسرع بالإزهار والتضوع، مخافة أن تذبلها الشمس قبل أن تنضج حبتها، إن حبها سريع معجل ...

صحراء رملية، رمال متحركة كلجج البحر، كثبان متنقلة باستمرار، أنواع من الأهرام ترشد القوافل من بعيد، إلى بعيد، فإذا صعدت قمة إحداها في طرف الأفق شاهدت قمة الأخرى. و حين تهب الريح تقف القافلة، ويحتمي الجمالة بظلال نوقهم".<sup>(26)</sup>

كان حريصا على التمتع بأروع منظر تمنحه الصحراء كل صباح يوم جديد، ويعني ذلك طلوع الشمس وما يبعثه من بهجة وتساؤل في نفس المرء، كان يترك نوافذ غرفته مفتوحة حتى يستيقظ على كل صوت يسمعه وبالتالي لا يفوت فرصة رؤية هذا المشهد والاستمتاع به"<sup>(27)</sup>.

إن الحديث عن حنين جيد للجزائر واسترجاع ذكرياته بها لا يعرف حدودا، لقد  
شمل كل مظاهر الحياة عموما من عادات وتقاليد وموسيقى وأسواق وبؤس وشقاء  
وأصدقاء كـ (عثمان و بشير والصادق وعاشور والوردي... ومريم و مباركة...)  
ومناسبات دينية وغيرها كالأعراس و"الزردة" دون أن ينسى تقديس مساجدها  
وصوت الأذان يتصاعد من صوامعها.

## الهوامش والإحالات:

- 1- أندريه جيد: كاتب فرنسي (1869-1951) عن أب بروتستانتي وأم كاتوليكية، تميزت سنواته الأولى بنشاطات واهتمامات متنوعة بفضل عناية والده، حيث مكّنه من الاطلاع على كتب هامة كالأوديسا والسندباد البحري وموليير... كان يحب الترحال فزار العديد من البلدان كإيطاليا وسويسرا وألمانيا وروسيا... وأحبّ الشرق وعشقه وكتب عنه، وزار الجزائر لمّرات وظل يكتب عنها دون انقطاع. وإذا أردنا اختصار حياة جيد، فإننا نقول إنه نشر خلال أكثر من نصف قرن مجموعة هائلة من الكتب والأعمال تحدث فيها بصفة المطالع المتمكن في مجالات عديدة كالفلسفة والدين والأدب من خلال المسرح والرواية والنقد والشعر والأسطورة.
- 2- حسين مُحمّد فاهم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 167.
- 3- إلياس قنصل، أدب المغتربين، مجلة المعرفة، العدد 47، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، كانون الثاني 1966، ص 152.
- 4- تم ضبط هذا العرض التاريخي لرحلات جيد إلى الجزائر اعتمادًا على يومياته (أجزاء كثيرة) التي كان يحرس فيها على تسجيل تاريخ وفترات رحلاته إلى بقاع مختلفة من العالم.
- 5- A. Gide, *L'Immoraliste, Romans, Récits, et Solies, Ouvres Lyriques*, Editions Gallimard, 1958, P380.
- 6- R.M.Alberes, *L'Odyssée d'Andre Gide*, Nouvelle Edition, 1951, P 66.
- \* مينالك: شخصية خيالية من إبداع جيد
- 7- أندريه جيد، قوت الأرض (والقوت الجديد) إشراف ومراجعة الدكتور شكيب الجابري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1965، ص 24.
- 8- A. Gide, *L'Immoraliste*, P465.
- 9- أندريه جيد، قوت الأرض، ص 135، 136.

- 10-المصدر نفسه، ص 139.
- 11-A. Gide, *Si le Grain ne Meurt*, Journal, 1939-1949, Souvenirs, Editions Gallimard, 1954, P567.
- 12- A. Gide, *L'Immoraliste*, P 393, 394, 395
- 13- A. Gide, *Si le Grain ne Meurt*, P 603.
- 14-أندريه جيد، قوت الأرض، ص 130-131.
- 15-المصدر نفسه، ص 119-120.
- 16-المصدر نفسه، ص 123.
- 17-نفسه، ص 122.
- 18-A. Gide, *Journal 1889-1939*, Souvenirs, Editions Gallimard, 1954, P 1231.
- 19- أندريه جيد، قوت الأرض، ص 133.
- 20- المصدر نفسه، ص 77.
- 21-A. Gide, *L'Immoraliste*, P465.  
A. Gide, *Feuilles de route*, P 74
- 22- أندريه جيد، قوت الأرض، ص 140 - 141
- 23-Schveitzer. M, *Gide aux oasis*, Editions LA FRATERNITE, P144
- 24-أندريه جيد، قوت الأرض، ص 140.
- 25-المصدر نفسه، ص 143
- 26-نفسه، ص 144-145.
- 27-نفسه، ص 75.

يصدر المخبر العدد الرابع من مجلته ، بعدما سلخ من عمره ثلاثة عشرة سنة أرسى فيها دعائمه وهياكله، وأنجز عدداً من مشاريع البحث، والنشاطات العلمية وكوّن عدداً معتبراً من طلبة الماجستير والدكتوراه في مجالات ذات صلة وثيقة بطبيعة المخبر، وبذلك أصبح يتوفر على طاقات وكفاءات تمكّنه من إصدار مجلة يريد بها علمية أكاديمية تعمل من أجل التراكم المعرفي في الأدب العام والمقارن وكلّ ما يتصل به.